أوضاع المسلمين

لقد عشت في أمريكا ما يقرب من أربع سنوات متواصلة كنت خلالها محللاً لكثير من الأوضاع، ومقارنًا فيها أوضاع بلاد المسلمين بواقعهم الحالي والسيئ في الغالب، وكنت خلال ذلك أذهب ببصري بعيدًا في أعماق التاريخ، متصورًا حال المسلمين في أيام عزهم ومجدهم ومآلهم الآن والفرق بين ذلك، وكنت من خلال ذلك كله أنظر إلى المبادئ التي كانت عليها الأمة والتي تخلت عنها الآن، وأربط ذلك بمجال الانحدار الذي هي عليه، وفي نفس الوقت أقارن بين الغرب وخصوصًا أمريكا، والمبادئ التي تسود عليها وتاريخهم وأصلهم الذي ينتمون إليه ويرتبطون به بل ويفخرون به كرعاةٍ للبقر، وحالنا نحن المسلمون وما كنا عليه وما ينبغي أن نكون عليه كدعاة للبشر وليس للبقر، ومن خلال تلك الوقفات والتأملات كنت ازداد ألمًا لحالنا التي نحن عليها،

حيث إن معظمنا ـ مع الأسف ـ أفرادًا ودولاً أصبحنا بقرًا في قطعان رعاة البقر نساق إلى المرعى والى الذبح أحيانًا ، أو إلى الحلب في أحسن الأحوال. وإني أسأل عن مبادئنا وأصلنا وما نحن عليه سابقًا وأقارنها مرة أخرى بما هو عليه لكي أعزّي نفسي، وأجعلها في طابور دعاة البشر والأمثلة على ذلك من تاريخنا كثيرة.

ولننظر إلى تاريخ رعاة البقر في أول وصولهم لأمريكا فنحن نرى أنهم قاموا بقتل وذبح وتشريد أهل البلد الأصليين من الهنود الحمر ولم يتركوهم ليعيشوا مجرد العيش بل كانوا يفسدون ويحرقون ويقتلون كل ما يمكن أن يقتات منه الهنود الحمر لكي يميتوهم جوعًا ، كما أثبتت الدراسات إنهم كانوا إلى وقت قريب ينشرون بينهم الأمراض المختلفة عن طريق البطانيات أحيانًا وعن طريق ما يأكل ويشرب لا لشيء إلاَّ لأجل أن يقضوا عليهم في الوقت الذي فتحوا فيه أبواب الهجرة لأعداد كبيرة من الأوربيين.

وفي نفس هذه الفترة أو بعدها بقليل نجد إنهم قد بدأوا يختطفون الرقيق من عائلاتهم وأسرهم في أفريقيا ويحضرونهم إلى العالم الجديد في أمريكا مقيدين بالسلاسل والأغلال موضوعين في الحظائر أو السفن التي تحملهم لكي يقوموا بتعذيبهم وتشغيلهم غصبًا عنهم وقتل من يعصي الأوامر منهم هكذا كانت بداياتهم ومن لم يصدق فليرجع إلى قصص الرقيق في المناطق

والمكتبات القومية في أمريكا أو ليزر بعض العائلات من الأفروأمريكان ليطلع على عمق المأساة التي عاشوها في تلك المحنة من الشعوب الأوربية وغيرها فأي ظلم بعد الظلم.

ولأعود بكم مرة أخرى إلى دعاة البشر وهم آباء المسلمين جميعًا لنرى ما عندهم ولن أُفصَّل لكم في هذا الجانب بل سأنقل لكم ما كانوا يعرضون على أهل البلاد المفتوحة فهذا ربعي بن عامر حينما ذهب ليقابل كسرى على رأس وفد من المسلمين دار بينه وبين كسرى حوار قال فيه كسرى: ما الذي جاء بكم فرد عليه ربعي بن عامر: أن الله ابتعثنا وجاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه.(٢٤)

وأما صفتهم كما قال عنهم الرومي الذي اندس بينهم ووصفهم لقائد الروم قائلاً: "هم بالليل رهبان وبالنهار فرسان لو سرق ابن ملكهم قطعوه ولو زنى رجموه لإقامة الحق فيهم".(٢٥)

هكذا عرفهم أعدائهم بأنهم دعاة حق وعدل.

---

(١) انظر: **تاريخ الطبري**، ج ٤، ص ١٦٤.
(٢) انظر: الأزدي، **فتوح الشام**، ص ١١.

وكذلك فإن أهل حمص وهم من الروم ألحوا على أبي عبيدة ابن الجراح أن يبقى في حمص وأن يشاركوه في حرب الروم والدفاع عن حمص رغم أنهم من بني جلدتهم ومن قومهم وذلك لعلمهم بعدل المسلمين وإنصافهم، ثم لنرى ما الذي تركه الفاتحون من المسلمين في تلك البلاد و لقد تركوا الأخلاق العالية والفضائل التي أكسبوها لأهل تلك البلاد وعلموهم الفضيلة والفقه وقارنوا ما تركه المسلمون منذ أربعة عشر قرنًا في الشام ومصر وغيرها، وما أثروا به على تلك البلاد من تأثيرات مختلفة، بما تركه الغرب وخصوصًا رعاة البقر في الفلبين وتايلاند وكوريا وفيتنام وألمانيا وغيرها لقد تركوا في جميع البلاد التي أقاموا فيها البارات والحانات ومحلات الدعارة والزنا وأمراض الأيدز وأولاد الحرام بما لم يشهد له العالم مثيلاً.

ولأنقلكم إلى جانب آخر من الفوارق بين دعاة البشر ورعاة البقر والتي كنت حقيقة أحس بها، فرغم ما يدعيه الغربيون من حرية وديمقراطية وعدل في مجال التشريعات إلاَّ أن واقعهم وتاريخهم يخالف ذلك، فالمُشرّع عندهم هو الإنسان وليس له حد في تشريعه، ولذلك فقوانينهم وتشريعاتهم متقلبة ومختلفة من زمن لأخر فقد كانوا في القرن الماضي يقومون بإعدام وقتل لصوص الماشية فأرواحهم أرخص من الماشية نفسها، وأما الآن فإن من

يقتل إنسانًا بل أناسٌ كثيرون فإنه يوضع في السجن آكلاً شاربًا، بينما في الإسلام نرى أن المُشرِّع هو الله سبحانه وتعالى وإن شرعه ونظامه هو ثابت لا يتغير حسب الهوى والتصويت، وإنما هو دائم. وفي اعتقاد المسلمين جميعًا أن الله هو الخالق وهو أعلم بما يصلح لهم، ولذلك فمن يعتدي على حياة الإنسان أحيانًا ثم يجعل الإنسان مرة أخرى أغلى من حياة أناس كثر، وذلك في تذبذب حسب أهواء الناس وآرائهم.

وموضوع أخر يتعلق بالجمال والفن عند رعاة البقر ودعاة البشر فأمة الإسلام ولا شك مرت بمراحل من مراحل الترف جعلتها تلتفت إلى الكثير من أمور الفن وزينة المسلم بطبيعة حب الجمال ومظاهره، ولذلك إذا قارنت مفهوم الفن والجمال بين الطرفين نجد الفرق شاسعًا فالفن عند الغربيين يتمثل في أنواع عديدة منها النحت والتصوير مثلاً والذي يركز على المخلوقات بل على البشر أكثر من غيرهم وبأشكال داعرة وعارية وبعيدة عن الحياء في كثير من الأحيان ومن لم يصدق ذلك فليزر دور العرض والمتاحف والتي تستمد فنها من وثنية أوربا القديمة.

بينما نجد أن الظاهرة الجمالية عند المسلمين في الزخرفة والنحت تدور حول الطبيعة البريئة كالورود والأزهار والزخرفة والحروف والأشكال وكل ما يخدم عقيدة التوحيد ويبعد

الإنسان عن تقديس المخلوقات ولذلك كرهوا التماثيل والصور التي حرمها الإسلام عليهم.

كما إنك تجد عند الغربيين ومن يقلدهم الاهتمام بالمسرح والتمثيل وغير ذلك من الخيالات الكاذبة التي تستغرق جهودهم لاختراع أحداث غير واقعية.

فيما نجد عند المسلمين من تاريخهم الحضاري الاهتمام بالمستشفيات والمدارس والمكتبات والأوقاف النافعة ومن شاء فلينظر إلى المناطق الأثرية في القاهرة ودمشق ولذلك فلا مجال للباطل والخرافات والأوهام عند المسلمين في تلك الأيام ومن يسير على دربهم.

وقد يقول قائل إن رعاة البقر الآن أكثر من غيرهم تقدمًا وسبقًا في التنظيم واستغلال الطاقات، أقول نعم حقًا هم في هذه الأيام أكثر تنظيمًا ودقة بل واحترامًا للناس ليس لأنهم هم الأفضل بل لأن الأفضل وهم دعاة البشر تواروا عن الأنظار وابتعدوا عن تعاليم دينهم التي تدعوهم إلى الريادة والقيادة وأصحبوا مجرد أرقام ورعايا عند رعاة البقر دون أن يتفكروا في قول عمر ﷺ: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما نبتغي العزة بدونه يذلنا الله". أفلا يجدر بنا بعد ذلك أن نعرف أنفسنا وأصلنا

وتاريخنا ونطبق ما كنا عليه بدلاً من التقليد ونسعى لقيادة البشرية مرة أخرى بدلاً من أن نكون في الذيل منها، ولماذا يغتر كثير ممن يزورون تلك البلدان ويعجبون بها وبحضارتنا دون مقياس واعي ومنطقي لخلفياتها ومكوناتها ثم لماذا يحتقر المسلمون أنفسهم وتراثهم حينما يسوء واقعهم مع أن بإمكانهم السعي لتحسين أحوالهم بدلاً من الجري وراء الآخرين وإن كان هناك جري وتقليد فليكن في الأمور النافعة للإنسان مما عُرف عند هؤلاء الذين لا يمكننا تجاهل دورهم في القوة والتنظيم، وكلٌ يتحمل مسؤوليته بما يستطيع، والله المستعان.

❁❁❁